

الوظيفة الترديدية اللغوية في القرآن الكريم – دراسة بلاغية
The function of linguistic repetition in the Quran - a rhetorical study

د/شعيب يحيى CHAIB YAHIA

جامعة سعيدة.

Yahiachaib_7@yahoo.com

تاريخ القبول: 2018 / 12 / 29

تاريخ الإرسال: 2018 / 06 / 21

ملخص البحث

Abstract

This research has studied one of the most rhetorical types in the Holy Quran, the function of repetition, so that the research dealt with this type in terms of its rhetorical concept, and then tried to confine one of its types used by the Koran. And we chose the term of repetition because of the many used types that hesitate in the Quran, and we followed its conception with all the Scholars of rhetoric who knew it and we mentioned all of its sections that depend on repeating in it, and then we studied one of its sections which is the linguistic repetition in all the Holy Quran.

Keywords: function of repetition, linguistic repetition, methods of repetition, Holy Quran, rhetoric.

لقد درس هذا البحث أحد الألوان البلاغية في القرآن الكريم، ويتمثل في الوظيفة الترديدية، فتناول هذا الفن من ناحية مفهومه البلاغي، ثم حاول حصر أحد أنماطه التي وظفها الأسلوب القرآني. فكان الاختيار على مصطلح الترديد نظرا لكثرة الأنماط الترديدية المستعملة في القرآن، وقد تتبّع البحث مفهومه عند كل البلاغيين الذين عرفوه، وذكر كل أقسامه التي تتوزع عليها الفنون البلاغية باعتبار وظيفتها الترديدية، ثم درس أحد أقسامه وهو الترديد اللغوي في كل سور القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: وظيفة الترديد، الترديد اللغوي، أساليب الترديد، القرآن الكريم، البلاغة.

*** **

لقد جاء التريديد في القرآن الكريم على أساليب كثيرة، كلها أتت لفائدة بلاغية جعلت منها التعبير الأمثل في سياقها الذي وُضعت له، بحيث ابتعد التريديد القرآني عن كل مللٍ أو ما شابه ينتاب السامع والقارئ مما قد يعتورُ كلام البشر، ومقصودنا بالتريديد اللغوي كلُّ ما أُعيد من كلمة أو تركيب؛ كلُّ شكلي يتردّد بمعناه سواء كان اللفظ نفسه أو من اشتقاقه أو كان جملةً أُعيدت بذاتها أو طراً عليها تغييرٌ طفيف. وتجدرُ الإشارةُ أنّ هاتاه الأساليب التريديدية لابدٌ أن يُشترطَ بين طرفيها التقاربُ حتى نستطيع أن نلمح وقوع التريديد فيها.

ودراسةُ أساليب التريديد التي اشتمل عليها القرآن الكريم تستلزمُ تصنيفَ كلِّ الأنماط البلاغية التي جَوَّهَرها الوظيفة التريديدية، ومحاولةُ التمثيل لكلِّ منها بما توافر من آيات القرآن الكريم. وعلى هذا ينقسم البحث إلى قسمين: الأول مفهوم التريديد في البلاغة العربية، والثاني أنماط التريديد القرآني اللغوي.

المبحث الأول: مفهوم التريديد في البلاغة العربية

أولاً- تعريف التريديد:

1- تعريف التريديد لغة:

وضع صاحبُ كتاب الطراز يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفى: 749هـ) تعريفاً لغويًا لمصطلح التريديد فقال: "والتريديد تفعيل من قولهم: ردّد الثوب من جانب إلى جانب، وردّد الحديث تريديداً أي كرّره"⁽¹⁾. ووافقته صاحب تاج العروس: "وردّدَ القَوْلُ كَرَّرَهُ"⁽²⁾؛ فمعنى التريديد لغةً هو التكرير؛ وردّد بمعنى كرّر.

واتّفقت المعاجم على أنّ المصدر (التريديد) قياسٌ من الفعل (ردّد)؛ ففي لسان العرب: "وردّدُهُ تريديداً وتزّداداً فتردّد"⁽³⁾، وفي تاج العروس: "وأما (التزّديدُ) فإنه قياسٌ من ردّدّه، كما صرّح به غير واحدٍ. ويقال: ردّدّه تزّديداً وتزّداداً"⁽⁴⁾.

2- تعريف التريديد اصطلاحاً:

إذا تتبّعنا تعاريفَ التريديد الاصطلاحية عبّر كُتب البلاغة من القديم فإننا نجدُها تدورُ حول أربع حالاتٍ مُتباينة:

أ- التريديد هو إعادة لفظة بعينها مع اختلاف تعلق كلٍ منهما: وقال بهذا التعريف الحاتمي (المتوفى: 388هـ) صاحب جلية المحاضرة، يقول: "هو تعلق الشاعر لفظة في البيت، متعلقة بمعنى، ثم يرددها فيه بعينها، ويعلقها بمعنى آخر في البيت نفسه"⁽⁵⁾. وتابعه ابن سنان (المتوفى: 466هـ) في كتابه سر الفصاحة، والمظفر بن الفضل (المتوفى: 656هـ) في كتابه نضرة الإغريض، ويحيى بن حمزة العلوي (المتوفى: 749هـ) في الطراز.

وقد مثل الحاتمي للتريديد بأبيات متنوعة، نذكر منها:

"مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا"⁽⁶⁾.

واتفق ابن أبي الإصبع (المتوفى: 654هـ) مع الحاتمي في المعنى العام للتعريف فقال: "وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى نُوْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ؛ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]"⁽⁷⁾؛ إلا أنه وسع عنه في جهة وضيق في جهة أخرى؛ فهو وسع التريديد ليشمل الشعر والنثر، ويشمل الأسماء والحروف والجمل، مع إمكانية تكرر التريديد أكثر من مرة؛ ولكنه ضيقه ليكون في حدود الشطر الواحد من البيت أو ما يقابله من النثر؛ مع إفادة اللفظة المراددة معنى زائدا. وقد تابعه بدر الدين بن مالك (المتوفى: 686هـ) في المصباح.

ب. التريديد هو رد الأعجاز على الصدور: أي أن ترد آخر الكلام على أوله. وقال بهذا التعريف ابن وكيع التنيسي (المتوفى: 393هـ) في المنصف: "وهو أن يبتدئ الشاعر بكلمة في البيت ثم يعيدها في عجزه أو نصفه ثم يرددها في النصف الآخر"⁽⁸⁾. وتابعه أسامة ابن منقذ (المتوفى: 584هـ) في كتابه البديع في نقد الشعر، وأيضا ابن شيث القرشي (المتوفى: 625هـ) في معالم الكتابة.

ج. التريديد هو الجناس التام: من أوائل من رأى هذا هو ابن رشيق (المتوفى: 463هـ) في كتابه العُمدة، فقد جعل التريديد من أقسام الجناس وفرق بينه وبين التصدير. ثم جاء أصحاب البديعيات، وكلهم مثلوا للتريديد في بديعياتهم بالجناس التام حيث جعلوا للتريديد ثلاثة أطراف تتفق دوالها وتختلف مدلولاتها⁽⁹⁾.

د. التريديد هو إعادة لفظ بعينه: وقال به ابن الأثير (المتوفى: 637هـ) في المثل السائر؛ وقد أخرج من دائرة الجناس مخالفا بذلك ابن رشيق، ثم أعطى له تعريفا عاما: "ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو (التريديد) أي: أن اللفظة الواحدة رُددت فيه"⁽¹⁰⁾.

وتابعه ابن الأثير الحلبي (المتوفى: 737هـ) وجعله يشمل فنونا بديعية أخرى في كتابه جوهر الكنز، يقول: "وهذا الباب يدخل فيه: التصدير، والتعطف، والمشكلة، وردُّ الأعجاز على الصدور، فإنَّ كلَّ هذه الأبواب مادَّتها واحدة"⁽¹¹⁾.

وأمام هذه المفاهيم المتباينة كان اختيائنا للمفهوم الأخير لمصطلح التريديد هو الأنسب والأليق ببحثنا؛ نظرا لأنَّ المصطلح لم يستقرَّ على دلالة محدَّدة مثل غيره، ونظرا لتوسُّع الأنماط التريديدية في القرآن الكريم كما سنبينه في المبحث الثاني.

ثانيا - الوظيفة التريديدية في فنون البلاغة العربية

إذا بحثنا في كتب البلاغيين عبر مراحل نشوء البلاغة فسنجد أنهم تعرَّضوا لهذه الظاهرة في الفنون الأدبية تعرُّضا متفاوتا، فمنهم من ذكر جانبها واحدا من جوانب التريديد، ومنهم من قسَّم وفصَّل ونوَّع المسَّميات، إذ نجد مُصطلحاتٍ متنوِّعةً كلّها ابتدعتُ وفي عمقها معنى التريديد، منها: التكرار، التذييل، التجنيس، التسجيع، التسهيم، التوشيح، التطريز، الترادف، الاشتراك... وقد يوجد من استعمل غيرها على المستوى اللُّغوي العام الذي يُقصد به إعادة صوت المادة مُطلقا، أو ما أُعيد فيه معنى بأيِّ وجه.

وقد تكلم الجاحظ (المتوفى: 255 هـ) عن قيمة هذه الظاهرة إذ نجده يقول في أحد النصوص: "وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حدُّ ينتهي إليه، ولا يُؤتى على وصفه.. وما سمعنا بأحدٍ من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيًّا"⁽¹²⁾، وكلام الجاحظ وصفٌ عامٌّ لفنون التريديد وأساليبه، إذ نفى أن يكون له أيُّ حدٍّ يحدُّه أو تعريفٍ يُلِمُّ بالمقامات التي تُوجِبُه وتطلُّبه؛ وأخذ العلماء بعده يتوسَّعون شيئا فشيئا، وأخذ مفهوم تريديد الألفاظ والمعاني يتنوُّع عندهم بتنوُّع الفنون البلاغية وتكاثرها حتى لقد عُني بأنواعٍ وكثُر الإعجاب بها لخصيصةٍ فيها ليست إلا التريديد الذي شملها إما على المستوى الصوتي وإما الدلالي.

ولم ينته القرن الثالث حتى بدأت الفنون البلاغية تأخذُ خطواتها الأولى نحو التخصص، فألَّف ابن المعتز (المتوفى: 296هـ) كتابه: البديع، وجعل فنونه خمسةً أساسية، وأضاف إليها ثلاثة عشر محسنا، أخذت أساليب التريديد تتَّضح معها تدريجيا؛ ثم أخذت تتزايد مع مراحل تطوُّر البلاغة، فزادت ألوانها أكثر عند قدامة بن جعفر (المتوفى: 337هـ) في كتابه نقد الشعر، ثم أكثر بكثير عند أبي هلال العسكري (المتوفى: بعد 400هـ) في

الصناعتين مع نهاية القرن الرابع الهجري، ومن أساليب التريديد التي تمايزت: الجناس، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها، والتكرار، والتذييل، والسجع، والازدواج، والتعطف، والمجاورة، والتطريز، والعكس، وصحّة التقسيم...؛ إضافة إلى فنون كانت تنضوي ضمن أخرى في تلك البدايات التي عرفتها البلاغة العربية⁽¹³⁾.

وبمرور القرن السابع الهجري وتواكب العلماء البلاغيين على بناء الدرس البلاغي والسير به إلى النضج والاستقلال عرّفت البلاغة في هذه الفترة أوفى غاية من التعاريف والتقاسيم في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (المتوفى: 626هـ)، وقد لخصه في القرن الثامن الخطيب القزويني (المتوفى: 739هـ)، ثم شرحه في كتابه الإيضاح وتوالت على تلخيصه الشروح وبلغت في ذلك مبلغاً في تنوع الطرح والتعقيد. وكانت أساليب التريديد تتشكّل تشكلاً متنوعاً بحيث توزّعت في مباحثهم البلاغية المختلفة ولم تتخذ لها منحى خاصاً بها يجمّعها على وظيفتها التريديدية، بل ما كان منها يشمل المعاني كان ضمن علم المعاني وما كان يشمل الأصوات كان من نصيب علم البديع.

ثالثاً - أقسام الفنون التريديدية في البلاغة العربية:

بناءً على ما سبق نستطيع أن نصنّف الفنون البلاغية التي تعتمد في جوهرها على وظيفة التريديد إلى ثلاثة أقسام أساسية:

1- التريديد اللغوي: هو الشكل الذي يتردّد بمعناه سواء كان اللفظ نفسه أو من اشتقاقه أو كان جملة أعيدت بذاتها أو طراً عليها تغييراً طفيف مع اتفاق المعنى العام، فهو قسمان: تريديد لغوي لفظي يشمل الألفاظ، وتريديد لغوي تركيبى يشمل الجمل. ومن الفنون البلاغية التي تنضوي فيه: التكرار، التصدير، الإحصاء، تشابه الأطراف، العكس، المراجعة

...

2- التريديد الدلالي: وهو الذي يشمل المضمون دون الشكل؛ فيقصد به كل جملة أو جمل أعيد مضمونها بصياغة مغايرة، أو هو إعادةتها مع اختلاف الدالّ واتفاق المدلول؛ وهو على قسمين: فإمّا أن يتقارب الطرفان المتفقان في المدلول- مكانياً، وإمّا أن يتباعدوا. فهو قسمان: تريديد دلالي قريب، وتريديد دلالي بعيد. وطبيعة القسم الأوّل تفرض أن يكون المدلول المتردّد المتقارب على شكل جملة، وطبيعة القسم الثاني تفرض أن يكون المدلول

المتباعدُ على شكل موضوعٍ تعرّضه جملٌ متعدّدة. ومن فنونه البلاغية: التذييل، ذكر الخاص بعد العام، ذكر العام بعد الخاص، الإيضاح بعد الإيهام، التريديد الموضوعي.

3- التريديد الإيقاعي: وهو ما يكون على مُستوى الصوت أو الوزن، فقد يتردّد حرفٌ في الكلام بصورة تجعل لهذا التردّد نصيباً ومساهمة في إضفاء صفة التأثيرية والجمالية على الكلام، ويُشاركه في هذا أيضاً تردّد الوزن بحيث تتطابق الحركات والسكنات على مُستوى مَلحوظ، فيمنح هذا التريديد إيقاعاً جمالياً بديعاً. فتريديد الإيقاع يشمل جانبيين، فقد يتردّد الصوتُ بأبعاد متقاربة تُضفي نغماً مسموعاً وملحوظاً على تراكيبه، وهو التريديد الصوتي؛ وقد تتماثل من تركيبين حركاتٌ وسكناتٌ تبتُّ في عمق الكلام مُوسيقى خفيفةً تسري في النفس ويُدرِكها الحسّ، وهذا في الشعر هو السرّ البديع الذي يكُنُّ في أنساقه وأوزانه، وهو التريديد النسقي. ومن فنون التريديد الإيقاعي: التجانس الصوتي، السجع، الالتزام، الجناس، الموازنة.

المبحث الثاني: أنماط التريديد القرآني اللغوي

قد رأينا أنّ التريديد اللغوي هو كل شكلٍ يتردّد بالمعنى نفسه، وقد يكون هذا الشكل كلمةً أُعيدت بذاتها أو بما اشتقَّ منها، وقد يكون جملةً أُعيدت بذاتها أو بأغلب تركيبها، مع اتفاق المعنى في كلّ. وبذلك نَفصل المبحث في محورين: الأول تريديد لفظي يخصُّ الألفاظ، والثاني تريديد تركيبِي يخصُّ الجُمْل.

أولاً: التريديد اللفظي

1 - التَّكْرار: يُعرَّفُ أنه "عبارة من تكرير كلمةٍ فأكثر باللفظ والمعنى لُنكته"⁽¹⁴⁾. ويُعدُّ أبو هلال العسكري (توفي بعد 400هـ) من أوائل مَنْ أدْرَج التكرارَ ضمن الإطناب⁽¹⁵⁾، ومثَّل له بما يتكرّر من الدالِّ والمدلول نفسه من كلمة أو جملة. وبقي المصطلح بهذا المفهوم في كثير من كُتب البلاغة حتى وقتنا الحاضر⁽¹⁶⁾؛ ولكنهم قيّدوا حُسْنه وجماله بدواعٍ أو نُكتٍ بلاغية، فمتى جيء بالتكرار من دون داعٍ أو نكتة بلاغية كان مجرداً من قيمته الأسلوبية وكان كما قال ابن رشيقي (463هـ) هو الخذلانُ بعينه⁽¹⁷⁾.

وللتكرار أشكالٌ مُتعدّدة يأتي عليها في الكلام، فهو يشمل الحرف والكلمة والجملة، وقد يتنوَّع تبعاً لمواقع أطرافه في الفقرات، فإما أن تتصل الأطراف في فقرة واحدة، وإما

أن تنفصل وتقع في الفقرة ذاتها، أو تقع بين فقرات، كما يلاحظ أيضا أماكن تلك الأطراف من تلك الفقرات. وعليه ارتأينا أن نثبت أشهر هذه التقسيمات:

أ. أن يتردد اللفظ مباشرة دون فاصل بين طرفيه، ويُسمى التكرار المباشر⁽¹⁸⁾:

ونماذجُ هذا القسم محدودة في القرآن الكريم، جاء الترديد فيها تأكيدا مباشرا لما يدلُّ عليه؛ فتوالي اللفظة مضاعفةً يُكسب الدلالة سُرعة أو كثرة أو اهتماما، مثل: ﴿هَمَّاتٍ هَمَّاتٍ لِمَا تُوَعَّدُونَ﴾ [المؤمنون: 36]. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: 10].

ب - أن يفصل فاصِلٌ (اسم أو فعل أو حرف) بين الطرفين، ويُسمى التكرار غير المباشر⁽¹⁹⁾: وقد استُخدم القرآن الكريم هذه الترديدات في أحوالٍ مختلفة، ولكنها تتفق في مضاعفة الدلالة وتقويتها بحسب عدد المتردّدات، وأيضا بحسب المسافة بينها، فكلما قصرت هذه المسافة كلما كانت قوّة الدلالة أكبر، والعكس. ومثاله: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-3]. ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: 4-5].

ج - أن تنتهي كلُّ فقرة باللفظ نفسه، بمعنى أن تقع أطراف التكرار في أواخر الفقر، ويُسمى تكرار النهاية⁽²⁰⁾. ومن أمثلته في القرآن: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: 1-2]. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ (6)﴾.

د - إذا ابتدأت عدّة فقرات متعاقبة باللفظ نفسه، فتكون أطراف الترديد على رؤوس هذه الفقرات، ويُسمى تكرار الصدارة⁽²¹⁾. ومنه في القرآن: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4)﴾ إلى آخر الآيات. هذه البدايات التي تتردّد تُشارك في رُبط دلالات الآيات بعضها ببعض؛ مثل ذلك المركز الذي تنطلق منه أقطار الدائرة، أو كالنبع الذي يتفرّق من عدّة جهاتٍ إلى سواقي.

وبقيت أقسامٌ أخرى تسمتُ تبعاً لمواقع طرفي الترديد أيضا، وسنُرجعها لمكانها، نظراً لاشتهارها بمصطلحٍ خاصٍّ في كتب البلاغة.

2 - المشاكلة: وهي "ذكر الشيء بلفظٍ غيره لوقوعه في صُحْبته تحقيقاً أو تقديراً"⁽²²⁾. واختيارُ التسمية على هذا النحو يرمزُ إلى المصاحبة بين الدوال في الظاهر، وبين المدلولات في الباطن، وقد تأتي هذه المصاحبة ظاهرةً أحيانا ومُقدّرةً أحيانا أخرى.

ومن نماذجها: قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 54]. والأصل: أخذهم بمكرهم. وَمَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ هُوَ تَمَثِيلٌ لِإِحْفَاقِ اللَّهِ تَعَالَى مَسَاعِيَهُمْ فِي حَالِ ظَنِّهِمْ أَنْ قَدْ نَجَحَتْ مَسَاعِيَهُمْ، وَهُوَ هُنَا مُشَاكَلَةٌ⁽²³⁾.

ومثله: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116].

والأصل: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك، فإن الله - عز وجل - لا يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّهِ لَفْظُ النَّفْسِ، إِلَّا أَنهَا اسْتُعْمِلَتْ هُنَا مُشَاكَلَةً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ لَفْظِ النَّفْسِ⁽²⁴⁾.

3 - التصدير: ويُسَمَّى أيضاً: رُدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ. وهو "أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمَكْرَرَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ الْمُحَقِّقَيْنِ بَعْدَ فِي أَوَّلِ الْفَقْرَةِ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا"⁽²⁵⁾.

والترديد هنا ملحوظٌ على مستوى البناء الشكلي والدلالي، وطبيعة البُعد المكاني المتوسط للفظتين هو الذي أفضى إلى نسق التصدير، فكأنَّ الأسلوب التريدي هنا لا بدَّ أَنْ يَتَوَقَّرَ فِيهِ مَسَافَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ فِي الدَّلَالَةِ تَسْمَحُ لِلطَّرْفِ الثَّانِي أَنْ يَسْتَقَرِّبَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسَافَةِ مِنَ الطَّرْفِ الْأَوَّلِ. ومن أنواعه: - أَنْ يَكُونَ الطَّرْفَانِ مَكْرَرَيْنِ: كقوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: 37]. - أَوْ أَنْ يَجْمَعُهُمَا الْاِسْتِثْقَاقُ: كقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10].

4 - تشابه الأطراف⁽²⁶⁾: وهو "أَنْ يُعِيدَ النَّائِرُ سَجْعَةَ الْقَرِينَةِ الْأُولَى فِي أَوَّلِ الْقَرِينَةِ الَّتِي تَلِيهَا"⁽²⁷⁾. وكثيرٌ من الأمثلة التي مثلوا بها لهذا النوع مثلوا بها لما اصطُحَّ عليه باسم التريدي أيضاً عند بعضهم. ومن النماذج القرآنية: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 6-7]. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحاً لِّعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: 36-37]. ومن الواضح أنَّ هذا الأسلوب التريدي لا يَعْتَمِدُ عَلَى تَوْقُّعِ الْقَارِئِ، وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُ عَلَى مُفَاجَأَتِهِ بِبَدْءِ يَتَّفِقُ مَعَ خِتَامِ، وَمِنَ الْمَفَاجَأَةِ يَتَمُّ إِحْدَاثُ الْأَثَرِ الْأَسْلُوبِيِّ عَلَى مُسْتَوَى الدَّلَالَةِ وَمُسْتَوَى الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ⁽²⁸⁾.

5 - الإحصاد: ويُسَمَّى أيضاً التسهيم، ويُسَمَّى التوشيح عند بعضهم. وهو: "أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ الْعَجْزِ مِنَ الْفَقْرَةِ أَوْ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعَجْزِ إِذَا عُرِفَ الرَّوْيُ"⁽²⁹⁾.

ومن النماذج: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19]. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴿[العنكبوت: 40]. فالطبيعة الترددية واضحة في هذا النوع، حيث يحتوي الكلام ما يدل على آخره؛ والنظر إلى السياق يؤدي إلى وجود توقع يُشارك به المتلقي في الكلام، ويُساهم في تكوين هذا التوقع ما يحقّقه الطرف الأول لهذا التردد.

6 - العكس: ويُسمى أيضا التبديل. "وهو أن يُقدّم في الكلام جزءً ثم يُؤخّر" (30).

يمثل العكس في الحقيقة ازدواج حركة الدلالة في شكل محسوس، فالنظر إلى الشكل التجريدي لخطّ الدلالة يكشف عن حركة تقدّمية للأمام ووصولاً إلى نقطة التوقف، ويقتضي أن نلاحظ وجود منعطفات تُصيب العملية اللغوية، وهذا يترتب عليه بالضرورة نمطاً تعبيرياً يتوافق معها، ومنها ما يكون أحياناً تراجعاً دلالياً تتبعه عملية تراجعية في الصياغة أيضاً (31).

ومن النماذج القرآنية: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187]. ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 27].

العكس في الكلام له هدفٌ قاصد إلى تمكين المعاني وتقدير الأغراض، فالآية الأولى تؤكد المساواة في الحكم، والثانية تُقرّر القدرة، فإنّ كلاً من جُمليتي الآية الثانية اللتين وقّع بهما ترديد العكس- فيه التقرير والتأكيد لإثبات القدرة على كمال التصرف في الأضداد، لأنّ كثيراً منا قد يقدر على الفعل دون عكسه، فيكون ذلك نقصاً في قدرته، وهذا يدلّ عليه صدرُ السياق: ﴿قُلِ اللَّهْمَّ مَا لِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

7 - السلب والإيجاب: "وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة، وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به في جهة، والنهي عنه في جهة" (32). وهو مدلول طباق السلب الذي عرفه القزويني: "الجمع بين فعلي مصدرٍ واحدٍ مُثبت ومنفيّ، أو أمر ونهي" (33).

ومن النماذج القرآنية: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ﴾ [المائدة: 44]. ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: 6-7]. وترديد اللفظ مع اتحاد الصيغة أو اختلافها ظاهر في هذا اللون، والمعنى بأصل المادة واحد؛ وإنما طرأ عليه الاختلاف من خارج هذا الأصل بدخول أداة النفي أو النهي مع اختلاف الصيغة أحياناً.

8 - المراجعة: ويسمى السؤال والجواب، ويسمى أيضا التجميع. "وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول جرث بينه وبين محاور له في الحديث، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة، وأبلغ إشارة، وأرشق محاوره، وأعدل سبك وأسفله، وأعذب ألفاظ وأجزئها، إما في بيت واحد أو أبيات، أو جملة أو جمل"⁽³⁴⁾.

فالمراجعة حاصلة بتريد ألفاظ (القول)، وهي تمتد إلى خارج حدود الجملة الواحدة. ومن الشواهد القرآنية: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

الترديد يتمثل في لفظة (قال) بحيث تشكل فواتح ترددية تزيد في ترابط التراكيب التي تفتتح بها، وتنظم عناصر الحوار القرآني في تناسق ووحدة. وهذا النوع يشبه ما ذكرناه سابقا باسم تكرار الصدارة، إلا أن ترديد المراجعة مختص بألفاظ القول خاصة بكل اشتقاقاتها، أما تكرار الصدارة فيشترط تماثل أطرافه. وغرض الأسلوبين واحد يتمثل في سبك الجمل والعبارات في وحدة ولحمة، حتى كأنها جملة واحدة، كما تشد هذه الأطراف المترددة ذهن الملقى وتجعله في حالة يقظة وانتباه حتى يستوفي المعنى كله.

ثانيا: التريد التركيبي

1 - التريد التركيبي التام: هذا النوع يرد في القرآن الكريم كثيرا، منه ما يكون مرتين ومنه ما يكون أكثر من ذلك، والغرض العام الذي وظفت له آيات القرآن هذا الأسلوب هو التأكيد والتقرير، مع ما قد يضاف من أغراض أخرى يختص بها كل نص قرآني عن الآخر. ومن السور القرآنية التي وردت فيها هذه الظاهرة الأسلوبية بارزة جليلة بنسبة أكثر من غيرها سورة الرحمن إذ ترددت فيها الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة. وسنكتفي بهاته الآية كنموذج واضح يبين جمالية هذا التريد:

لقد فسّر الشيخ الطاهر بن عاشور (المتوفى: 1393هـ) آية التريد الأولى فابتدأ بشرح الآلاء أنها اليعم جمع إلي، وألي، وألو وهو اليعمة. وضمير المثني في (رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) خطاب لقرينين من المخاطبين بالقرآن، خطاب للمؤمنين والكافرين، أي أن نعم الله على الناس لا يجحدوها كافر بله المؤمن، وكل قريق يتوجه إليه الاستفهام بالمعنى الذي يناسب حاله. والمقصود الأصلي من الآية هو التعريض بالمشركين وتوبيخهم على أن أشركوا في العبادة

مَعَ الْمُنْعِمِ غَيْرِ الْمُنْعِمِ، وَالشَّهَادَةَ عَلَيْهِمْ بِتَوْجِيهِدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّكْذِيبُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْجُحُودِ
وَالْإِنْكَارِ⁽³⁵⁾.

إنَّ هذا التريديد الوارد في السورة هو أكثر صُور التريديد التركيبي الوارد في القرآن على الإطلاق، وقد مهَّد له تمهيداً رائعاً حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدّة الفواصل؛ وقد تردَّدت في هذا التمهيد كلمة (الميزان) ثلاث مرات متتابعة دونما نيو أو ملل:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [7-9]، وهذا التمهيد قد أشاع - كذلك - لحناً موسيقياً عذباً كان بمثابة مقدّمة طبيعية لتلائم صُور التكرار ولتألّفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجوماً لأن القرآن قد راعى في فواصل المقدّمة التمهيدية ما انبنت عليه فواصل الآية المكرّرة⁽³⁶⁾.

والذي يغلب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم، لأنَّ آية (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) جاءت بعد كلّ نِعَمٍ يُعِدِّدها الله، ومن جهةٍ أخرى فيها معنى الإنكار والتوبيخ لأنَّ تعداد النعم والآلاء من الرحمن تبيكت لمن أنكرها كما يُبكت مُنكر آيادي النعم عليه من الناس بتعديدها له⁽³⁷⁾.

وعرضٌ آخر ذكره الزركشي في حديثه عن هذه الآية، قال أنَّ التكرار هو لتعدُّد المتعلّق، فإيَّها وإنَّ تعدَّدت فكلُّ واحدٍ منها متعلّق بما قبله وإنَّ الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجنّ وعدد عليهم نعمة التي خلقها لهم فكلّما ذكّر فضلاً من فصول النعم طلب إفرازهم واقتضاهم الشكر عليه وهي أنواعٌ مختلفَةٌ وصورٌ شتى.

2 - التريديد التركيبي غير التام: يوجد من أنواع التريديد التركيبي تردُّد بعض التراكيب مع تغييرٍ طفيف يطرأ عليها بالنسبة لكامل النصّ، كما هو الشأن بالنسبة لسورة الشعراء، ففيها لم يقتصر الالتزام على آيتين أو ثلاث، بل وصل إلى خمس آيات مع تبديل طفيف يلائم السياق، والآيات التي ترددت هي كالتالي: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109)﴾.

الآيات تقريبا بقيت كما هي في شكلها العام، وتغيّرت أسماء الأنبياء وأقوامهم؛ وقد ذكرت في مُفتتح كلّ قصة من قصص أولئك الأنبياء، أي في صدارة كلّ أحداث قصة.

وفي السورة نفسها وقع ترديد آخر لايتين ثماني مرات؛ ذُكرت أول مرة في الآيات الأولى بعد خطاب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9). وتأتي بعد هذا الموطن في ختام كل قصّة من سبع قصص متتالية وهي: قصة موسى عليه السلام، قصة ابراهيم عليه السلام، قصة نوح عليه السلام، قصة هود عليه السلام، قصة صالح عليه السلام، قصة لوط عليه السلام، وقصة شعيب عليه السلام. فكانت الأولى كتمهيد لتأتي بعده في ختام كل قصة وترتبط كل الأجزاء مع بعضها البعض فتشكّل قطعة واحدة.

الخاتمة:

لقد دارت محاورُ هذا البحثِ على أمرين اثنين، أولهما مُصطلح التردد الذي رأينا أنه لم يكن مُصطلحاً مُستقراً كغيره من المصطلحات البلاغية، فقد شهد أربعة مفاهيم عبر ثمانية قرون متتالية، وقد اختزننا منها أعمّها وأشملها لغيرها من فُنون البديع التي تمتاز بالوظيفة الترددية، ورأينا أنه ينقسم باعتبار سمة التردد هذه إلى ثلاثة أقسام كبرى: ترديد لغوي وترديد دلالي وترديد إيقاعي. في حين شمل الأمر الثاني الذي طرّفه البحثُ كلّ الأنماط الترددية اللغوية التي وردت في القرآن الكريم، ورأينا أنّ النصّ القرآني قد زخر بالكثير من هذه الفنون، ووظفها أسلوبه في أبهى حُلة وأبلغ بيان.

الهوامش:

- (1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي المكتبة العنصرية بيروت ط1 1423 ج 3 ص 47
- (2) تاج العروس من جواهر القاموس مرتضى الزبيدي تحقيق عبد العزيز مطر وآخرون؛ دار الهداية الكويت - ت 1970 م - د ط: ج 8 ص 93
- (3) لسان العرب: ابن منظور دار صادر بيروت - ط 1 - د ت: ج 3 ص 172
- (4) تاج العروس: الزبيدي ج 8 ص 91
- (5) جليلة المحاضرة في صناعة الشعر أبو علي الحاتمي تحقيق د جعفر الكتاني وزارة الثقافة والإعلام بغداد 1979م د ط ج 1 ص 154.
- (6) نفسه ج 1 ص 154 - 155
- (7) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع ت حفي شرف الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي د ط ت: ص 253.
- (8) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي تحقيق عمر خليفة بن ادريس جامعة قات يونس بنغازي - ط 1 - ت 1994م، ص 166.

- (9) ينظر أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المدني تحقيق شاكراهادي شكر مطبعة النعمان - العراق ط 1 - ت 1969 م ؛ ج 3 ص 359-363
- (10) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير أحمد الحوفي، بدوي طبانة دار النهضة مصر دت ج 1 ص 267
- (11) جوهر الكنز: ابن الأثير الحلبي ت محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية دت ص 260
- (12) البيان والتبيين: الجاحظ، مطبعة المدني مصر- ط 7 - ت 1998م، ج 1 ص 105.
- (13) ينظر البلاغة تطوّر وتاريخ: شوقي ضيف - دار المعارف مصر- ط 11 - د ت، ص 140.
- (14) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المدني تحقيق شاكراهادي شكر مطبعة النعمان العراق ط 1969م، ج 5 ص 345، وينظر أيضا معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس مكتبة لبنان بيروت ط 2 1984 ص 117.
- (15) ينظر الصناعتين لأبي هلال العسكري ت البجاوي ومحمد ابراهيم نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ط 1971م: ص 199.
- (16) ينظر منها مثلا علوم البلاغة للمراغي ص 175، جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ص 202، والبلاغة الاصطلاحية لعبده قليقة ص 277.
- (17) ينظر العمدة في محاسن الشعر وأدابه: ابن رشيق القيرواني ت محي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت ط 5 1981م ، ج 2 ص 74.
- (18) ينظر من قضايا الأدب الحديث: محمد عناني الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر دت 1995: ص 19؛ ترجمة: Epizeuxis ، وسماه صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ب "التكرار التوكيدي" بالترجمة نفسها ، ينظر ص 118.
- (19) ينظر من قضايا الأدب الحديث: محمد عناني ص 19 ترجمة: ploce ، (وهذا غير موجود عند مجدي وهبة صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب).
- (20) ترجمة: Epistrophe ، ينظر من قضايا الأدب الحديث ص 19 ، ومعجم المصطلحات (وهبة) ص 118
- (21) ترجمة: Anaphora ، ينظر من قضايا الأدب الحديث ص 19 ، ومعجم المصطلحات (وهبة) ص 118
- (22) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني دار الكتب العلمية بيروت دت ص 360 ، أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس ص 365.
- (23) ينظر تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور دار التونسية تونس 1984 دت ج 3 ص 256.
- (24) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب الحموي تحقيق عصام شقيو دار ومكتبة الهلال بيروت دار البحار بيروت الطبعة الأخيرة 2004م، ج 2 ص 252.
- (25) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ص 399 ، أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس ص 176.
- (26) جعل الخطيب القزويني هذا المصطلح لنوع يدخل في مراعاة النظر (ينظر الإيضاح: ص 356) ، وتابعه في ذلك صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ينظر ص 98). وتعريفهم لا ينطبق عليه مرادنا في البحث، إلا أن صاحب معجم المصطلحات وضع للنوع الذي نقصده مصطلح: تماثل النهاية والبداية (ينظر ص 119).

- (27) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم ج3 ص45.
- (28) ينظر بناء الأسلوب في شعر الحدائث، التكوين البديعي: محمد عبد المطلب دار المعارف ط2 1995 ص116
- (29) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 359 : أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس ص24.
- (30) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 362 : أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس ص251.
- (31) ينظر بناء الأسلوب في شعر الحدائث: محمد عبد المطلب ص 321.
- (32) الصناعتين لأبي هلال العسكري ت البجاوي ومحمد ابراهيم نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ط2 1971م، ص 421.
- (33) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 350.
- (34) بديع القرآن: ابن أبي الإصبع ت حفي محمد نهضة مصر للطباعة والنشر د ط دت، ص 300.
- (35) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ج27 ص243.
- (36) ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة مصر ط1 1992م. ج1 ص 329.
- (37) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب: الحموي ج 1 ص362

